كلمة حمورابي

بصدور هذا العدد من مجلتكم العلمية (مجلة حمورابي للدراسات)، يكون العام الميلادي 2020 قد انتهى دون أن تنتهي معه أحداثه. بل أنه فتح معه مصاريع أبواب لأحداث لاحقة تجعل من دول العالم مسرحاً لها.

فجائحة (كورونا) كانت ثقيلة الظلال على الاقتصاد والسياسة، بل وحتى على القيم الاجتماعية، مهددة وممهدة لولادة نظام عالمي جديد تكون الصراع والتنافس الاقتصادي أبرز ملامحه، فضلا عن التنافس في ميدان التطور التقني والأجهزة الذكية. وليغدو اسم الصين اكثر سطوعا في الأدبيات السياسية العالمية، مقابل تأثر الولايات المتحدة والغرب عموما بالجائحة، أعراضاً وتداعيات.

ويبدو أيضاً أن الجائحة كانت السبب الأبرز في الإطاحة بالرئيس الأميركي الأكثر إثارة للجدل (دونالد ترامب)، حيث أجمع أغلب قادة الرأي والفكر على أن سوء إدارته للأزمة التي تسببت بها الجائحة هي التي أمالت كفة خسارته للانتخابات، فضلا عن أسباب أخرى دفعت صناع الرأي الى وصف المجتمع الأمريكي في عهده بأنه الأكثر انقساماً منذ الحرب الأهلية الأميركية في القرن الميلادي التاسع عشر. في حين رأى آخرون بأن خسارته للانتخابات كانت ردة فعل طبيعية لانحسار الشعبوبة في الولايات المتحدة، وهي ذلك السلوك العاطفي الذي لن يستطيع الصمود طويلا أمام النخبوية إلا إذا تحول نخبويا. أما الرئيس ترامب نفسه، فكان قد رشق الديمقراطية الامريكية وهي الأعرق في العالم بسهام نقد شعبوية الأنغام كتلك التي يتداولها متعاطي السياسة في الديمقراطيات الناشئة. الأمر الذي شوه الطرح الأمريكي الشائع من أن الولايات المتحدة هي الأنموذج الأمثل في الحرية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان.

أما على المستوى الخارجي، وفضلا عن التنافس مع الصين، فلم تنفع الرئيس ترامب انتخابيا جهوده في دفع دول عربية لإعلان علاقاتها مع الكيان الإسرائيلي، وتأطيرها دبلوماسيا ضمن مفردة روج لها الأعلام العربي بـ (التطبيع). كما لم تفلح سياسة (الضغط الأقصى) التي مارسها ضد إيران طيلة مدة ولايته في «تغيير سلوك إيران الخارجي»، بل إن إقدامه على جريمة اغتيال قائد فيلق القدس الإيراني الجنرال قاسم سليماني عندما حل ضيفا على الحكومة العراقية، وبمعية نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي في العراق أبو مهدي المهندس، قد عقد مشهد الصراع في الشرق الأوسط، وأعلن افلاس الولايات المتحدة عن استخدام أساليب أخرى لتنفيذ

سياستها الخارجية دون اللجوء الى القوة العسكرية، وهو الأمر الذي لم يصب في صالح الرئيس ترامب أيضا.

أما العراق، فقد استمر مسلسل الاعتداءات العسكرية المباشرة عليه من جانب الولايات المتحدة منهيا عقده الثالث بما عرفت عراقيا بـ (جريمة المطار)، وما تلاها من اعتداءات عسكرية أخرى طالت منشآت مدنية أخرى. وإذا ما أضفنا التدخلات والتهديدات الامريكية للعراق سياسيا واقتصاديا، وما آل إِلَيهِ وضع العراق بعد تشكيل حكومة جديدة فيه حظيت بدعم علني ورسمي أميركي، لكنها لم تستطع تقديم بوادر حلول لأي من مشكلات العراق المتعددة، بل تفاقمت تلك المشكلات على نحو واضح، سيما في المجال الاقتصادي.

إن تأثر العراق بمحيطه الخارجي من جانب، وتأثير الولايات المتحدة عليه من جانب آخر، كان أبرز ما تسيد المشهد العراقي خلال العقود الأربعة المنصرمة، ولربما يكشف ملف العدد (العراق.. حروب وتحديات خارجية مستمرة)، جانبا من تلك الحروب والتحديات الخارجية التي عاشها العراق ولا يزال، الأمر الذي يتطلب منه بناء عقيدة عسكرية جديدة تتناسب وطبيعة نظامه السياسي ومنطلقاته في السياسة الخارجية، سيما بعد انتصاره أمام ميليشيات داعش، واحتفاظه بوحدة أراضيه رغم كل تلك التحديات.

ومع كل ما تقدم، فما زال العقل البشري يسعى الى تطوير البشرية، ورغم كل المعطيات السالفة، نتمنى أن يكون العام الميلادي 2021 عاماً لتجاوز الأزمات..

الدكتور أنور سعيد الحيدري
مدير المركز